التداولية بين التفجي والإيجاز في القرآن الكريم والعهد القديم
الوصايا العشر أنموذجا

د/ أمنية السعيد محمد

مقدمة

يقوم النص اللغوي في عمومه على دعائم بنائية Structures أساسية، وعلى روابط معنوية وفنيات شكلية ودلالية Rhetorical Conceits قد تكون صريحة أومستنبطة من النص فتخضع للقياس أو للذوق الخاص للمتلقي بصورة كبيرة.

ومن هنا فإنها تتأثر بظروف وملابسات خارج إطار النص الشكلي والبنائي ذلك الذي تتمركز حوله التداولية Pragmatics، وقد توجه النص وجهات عديدة، قد توافق أو تخالف الغرض الذي خُلق النص من أجله.

"فاللغة نظام بنوي"[١]، نظام يتألف من مفردات تتحدد قيمة كل مفردة منها بوجودها مع غيرها من المفردات[٢].

وميكانيكية اللغة ذلك النظام البنوي تعتمد على العلاقات[٣]، ومن هنا " فإن البلاغة والتداولية البرجماتية تتفقان في اعتمادهما على اللغة كأداة لممارسة الفعل على المتلقي؛ على أساس أن النص اللغوي في جملته إنما هو (نص في الموقف)، مما يرتبط – لا بالتعديلات التي يفرضها أشخاص المرسِل والمتلقي وموقعهما على معناه فحسب – وإنما بالنظر إلى تلك التعديلات التي تحدث في سلوكهما أيضًا بوجه عام" [٤].

---

[١] انظر: مصطلح (بنوية)، (بشر)كمال محمد، التفكير اللغوي بين القديم والجديد، دار غريب للطباعة والنشر٢٠٠٥م، ص ٢٣٨.

[٢] (عبد العزيز)محمد حسن، سوسير رائد علم اللغة الحديث، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٠م، ص ٣٧.

[٣] حتى إن نظرية النحو التحويلي للغوي الأمريكي تشومسكي ترجع بصورة أو بأخرى إلى فكرة دي سوسير عن الدراسة البنوية للغة. انظر : (بشر)كمال محمد، التفكير اللغوي بين القديم والجديد،ص١١٦.

[٤] (أنيس) تامر عبد الحميد محي الدين، الإحالة في القرآن الكريم دراسة نحوية نصية، مكتبة الإمام البخاري للنشر، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص٤١، نقلا عن : صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، الكويت رقم ١٦٤، أغسطس١٩٩٢م، ص ٩٨.

فاللغة نظام يعتمد على العلاقات داخل وخارج البنية النصية، ولكل نص لغوي بلاغته وفنياته، لكن تتفاوت درجات البلاغة وفق فنية ومهارة استخدام التراكيب والأساليب، وبمعنى آخر وفق التشكيل الفني للعلاقات "ويعني بها العلاقات الأفقية Sentagmatic والعلاقات الرأسية Paradigmatic"[٥].

فالعلاقة الأفقية أو السياقية تتمثل في أن عناصر الجملة أو وحداتها تنتظم معا في سياق أفقي متدرج زمنيا، يجئ كل عنصر أو وحدة منها في عقب الأخرى، فهي علاقة حضور؛ أما العلاقة الاقترانية أو الرأسية أو الجدولية فتكون بين كلمة موجودة في السياق وكلمات أخرى غير موجودة فيه، فهي علاقة غياب قائمة على التداعي[٦].

ولأن العمليات التنفيذية اللغوية هدفها الإسهام في التواصل والتفاعل الاجتماعي، فهي لذلك لا تتضمن فحسب صيغا ذات أشكال ثابتة، بل تقوم بوظائف ديناميكية خلال عمليات وإجراءات تداولية محددة، لذا فإن مفهوم (التنفيذ اللغوي) يحتمل عدة تأويلات فمن الممكن أن يشير إلى (شئ محدد) شفوي أو كتابي، ولكن من الممكن كذلك أن يشير إلى (عمل) هو واقعة تحقيق أو تنفيذ ذلك الشئ[٧].

وإذا تعلق الأمر بظاهرة الحذف فإنها تمثل إشكالية كبيرة خاصة إذا عرضت في النصوص المقدسة؛ والفنيات اللغوية أو الروابط التضافرية تلك التي قد يعتبرها البعض من الشكليات التكميلية للبناء اللغوي في عمومه، فهناك أسس جوهرية تركيبية، وهناك مكملات؛ لكنها في النظرة التداولية بناء متكامل متماسك يعطي بشكله الكائن عليه تفسيرات دلالية محددة.

فالأساليب البلاغية ما جاءت لزخرفة النص لكنها جاءت لحمايته من التشابك الدلالي ولتوضيح التوجيهات المقصودة لفظيا ودلاليا، ولإيضاح وتفسير القرائن المتداخلة في بنية النصوص المقدسة داخل إطار تداولي.

---

[٥] (بشر)كمال محمد، التفكير اللغوي بين القديم والجديد، ص٨٧.
[٦] (عبد العزيز)محمد حسن، سوسير رائد علم اللغة الحديث، ص ٣٤،٣٥.
[٧] انظر:(فضل)صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٢م، ص ١٩ ، ٢٠.

والتداولية كانت تستخدم قديمًا " للإشارة إلى أحد أقسام المستويات الرئيسة في علم اللغة الحديث لتحليل الاستعمال اللغوي في التفاعل الاجتماعي، والتواصل بين المشاركين في الحدث الكلامي؛ وبهذا المفهوم تقع التداولية في منطقة بين علم اللغة العام وعلم اللغة الاجتماعي"[٨].

أما حديثا فيعتمد على التداولية في " تحليل استعمال اللغة في سياق الكلام من حيث الأفعال التي يتداولها منتج اللغة (المتكلم أو الكاتب) عند الاستخدام الحي في الموقف الكلامي، والاستدلالات التي يبني بها المتلقي (السامع أو القارئ) تفسيره للرسالة اللغوية التي تتجاوز ما يقال وما يُكتب في الواقع، ويربط كثير من اللغويين بين التداولية (بهذا المفهوم)، و(علم الدلالة) أو (علم المعنى) "[٩] ولأنها تعني: تفسير العلاقة بين معنى الرمز اللغوي ومعنى مقصد المتكلم أو منتج النص على ضوء السياق والمقام، حيث إن التداولية أيضًا "تهتم باستعمال اللغة في المقامات التواصلية المختلفة، مع التركيز على مقصد المتكلم وأثر كلامه على المتلقي"[١٠]؛ من خلال الإشاريات الزمانية والمكانية، والشخصية، والخطابية[١١].

ولأن مقصد المتكلم لا يعلم حقيقته الدقيقة غير المتكلم، فإن المتلقي قد يعمد إلى مختلف التأويلات وفق ثقافته وموقفه من المتكلم، والحالة أو الوضع أو الإطار الموقفي العام من الخطاب نفسه.

ومن هنا تعددت المدارس التفسيرية للقرآن الكريم، وللعهد القديم، وفقا لاعتبارات كثيرة، لكن ما يحمله النص الواحد من عدة دلالات قد تخضع تلك الدلالات للرؤية والمدرسة التفسيرية الواحدة يجعلها تبرز تحت التشكيلات البلاغية صورا تستدعي الدراسة والتحليل والنقد للأشكال الفنية.

---

[8](Crystal)David , (2008), A Dictionary of Linguistics and Phonetics, Blackwell, p 379-380

[9] (Brown) Keith and James Edward Miller (2013),The Cambridge Dictionary of Linguistics, Cambridge University Press, p 352

[١٠] (درويش) فاطمة عادل محمد عبده: المعنى التداولي في الحوار القرآني دراسة لغوية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ٢٠١٨م، ص ٤٣.

[١١] انظر: (مصطفى) حمادي، تداوليات الإشاريات في الخطاب القرآني، مجلة الأثر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة ورقلة، الجزائر،عدد ٢٦، سبتمبر ٢٠١٦م، ص ٦٣، ٦٤.

أما من ناحية المدارس التدوينية للنصوص المقدسة فهنا تكمن مشكلة تحديد كاتب ومتلقي النص والمخاطَب المركزي وعموم المخاطبين وتعيين القرائن والعهدية الذكرية والذهنية بين نصوص القرآن الكريم والعهد القديم.

ومن هنا فإن هذه الدراسة تهدف إلى:

تصويب النظرة اللغوية للفنيات البلاغية على اعتبارها المعهود من الزخارف اللغوية واعتباريتها وفق هذه الدراسة من أساسيات الأشكال والأنماط التركيبية (البنيوية) في النصوص المقدسة، على أساس من الموقعية على ضوء (التداولية) في ظل الإيجاز بالحذف.

كذلك تهدف إلى ملاحظة مساحات التفريغ والتفجي من خلال وصايا سورة الأنعام وسفر الخروج، ومن خلال الإجابة عن هذه التساؤلات سيدور إطار الدراسة النظري والتطبيقي:

– هل تُعد بلاغة القرآن الكريم من الفنيات اللغوية في المنظور التداولي أم تُعد من أساسيات التركيب والبناء على ضوء الإيجاز والحذف والإضمار والتفجي؟

– نظرا لتعدد مصادر تدوين العهد القديم بين الإلوهيمي، واليهوي، والكهنوتي، والتثنوي فهل ستأخذ التداولية هنا منحنيات مختلفة عنها في القرآن الكريم أحادي المصدر التدويني على ضوء الإيجاز والحذف والإضمار والتفجي؟

أهمية الدراسة:

يتسم النص القرآني بموقعية دقيقة لألفاظه وقابلية استرداد المضمر والمحذوف مع أمن اللبس مع وجود الإعراب المدعِّم للموقعية، بينما يتسم النص التوراتي بالافتقار إلى الإعراب، وتعدد المدارس التدوينية تلك التي تُباعد وتخلق الفجوات بين العهد الذكري والعهد الذهني والتشابك بين القرائن.

لذلك كان لابد من دراسة تداولية للبناء اللغوي لكل من النصين وذلك لوصف ومساحات التفريغ بين التفجي والإيجاز في وصايا القرآن الكريم والعهد القديم .

مجال الدراسة:

النص الافتتاحي التقديمي للوصايا العشر من سورة الأنعام الآية الواحدة والخمسين بعد المائة، والنص الافتتاحي التقديمي للوصايا العشر في سفر الخروج الإصحاح العشرين الفقرة الثانية.

منهج الدراسة:

تقوم هذه الدراسة على المنهج المقارن التحليلي لدراسة مدى توافق التداول اللغوي بالنسبة إلى السياق والمقام في القرآن الكريم والعهد القديم؛ من خلال الإيجاز والتفجي في القرآن الكريم والعهد القديم تطبيقا على النصوص الافتتاحية التقديمية للوصايا العشر من حيث: الموقعية، ومساحات التفريغ، وبيان مدى وضوح القرائن واستيفائها الضوابط اللفظية والدلالية في مدخل ومبحثين وخاتمة.

- يتناول المدخل :- الحديث عن مفهوم التداولية لغة واصطلاحا، وعن مكانة التداولية في الدرس اللغوي المقارن؛ وعن الفنيات اللغوية وظاهرة الحذف السياقية (التفجي) والإيجاز في العربية والعبرية.
- المبحث الأول بعنوان : المبحث الأول: القرائن الضابطة للتفجي والإيجاز في وصايا سورة الأنعام؛ ويتناول الفارق بين التفجي والإيجاز من خلال دلالة التضمين؛ كذلك تعيين القرينة، ولحظ العلاقات النحوية الدلالية، وموقع الإيجاز بين الإحالة الذكرية والذهنية تطبيقا على وصايا سورة الأنعام في القرآن الكريم (النص التقديمي).
- المبحث الثاني بعنوان : القرائن الضابطة للتفجي والإيجاز في وصايا سفر الخروج؛ ويتناول الفارق بين التفجي والإيجاز من خلال دلالة التضمين؛ كذلك تعيين القرينة، ولحظ العلاقات النحوية الدلالية، وموقع الإيجاز بين الإحالة الذكرية والذهنية تطبيقا على وصايا سفر الخروج من العهد القديم (النص التقديمي).
- وخاتمة الدراسة تلك التي تتضمن أهم النتائج.

مدخل

تمثل التداولية مكانة كبيرة في الدرس اللغوي عامة وفي الدراسات المقارنة بصفة خاصة، حيث تقوم على تحليل شبكة من البيانات اللغوية وغير اللغوية المتعلقة بالنص، من حيث التركيب والدلالة والمؤثرات في خروج النص على ذلك الشكل تحديدا.

وإذا ما تعلق التحليل اللغوي بالتأصيل لمعرفة الشكل التركيبي والدعائم الدلالية للساميات القديمة أو مجموعة اللغات العربية إن صح التعبير؛ فإن التحليل بذلك يؤدي دوره في الفهم العميق للنصوص المقدسة، والتعامل الأمثل مع الملابسات المؤثرة في توجيه النص.

مع الأخذ في الاعتبار أن هناك من المدارس ما تؤيد تطبيق الدراسات التداولية على النصوص المقدسة، وعلى القرآن الكريم؛ وهناك مَن ينزه النصوص المقدسة عن ذلك حيث يؤخذ في الاعتبار أن "اللسانيات التداولية هي مجرد مفاهيم معرفية تأسست لضبط وتقويم السلوك الإنساني أثناء عملية التواصل فهي لا تتخطى القول البشري إلى النص المقدس"[١٢].

وفي الحقيقة فإن التداولية أوسع وأعمق من مجرد تطبيقات وضوابط معيارية وأنماط وصفية، بل تقوم على ركائز استنباطية واستقرائية أيضا بشكل كبير، تسهم في وضوح دلالات النص[١٣].

فمع تدوين النص المقدس والحَظَر وأخذ الحيطة للحفاظ على الشكل الأولي الذي أوحى الله به إلى رسوله؛ أخذت مرحلة تدوين العهد القديم عدة وجهات تبعا للمدارس التدوينية بين اليهوي والإلوهيمي والكهنوتي والتثنوي[١٤].

بينما حظي تدوين القرآن الكريم على اتجاه تدويني واحد؛ واعتبار التسلسل الشفهي مع تحري السند إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مع الدعم الكتابي للنصوص الموثقة بيد كتبة الوحي؛ فلم تتعدد المدارس التدوينية للقرآن الكريم؛ ومع انتشار الإسلام ودخوله للبيئات غير العربية واستيعابها له، ظهرت الدراسات المهتمة بالتحليل الشكلي والجوهري لآياته،

[١٢] (مصطفى)حمادي، تداوليات الإشاريات في الخطاب القرآني، ص ٦٤.
[١٣] انظر: (درويش) فاطمة عادل محمد عبده: المعنى التداولي في الحوار القرآني دراسة لغوية ص ٤٣.
[١٤] انظر: (حسن) محمد خليفة، مدخل نقدي إلى أسفار العهد القديم، دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٩٩٦م، ص ص ٣٨،٣٩.

واعتباره النموذج الأمثل للتطبيقات الفنية النثرية التالية له، واعتماد نماذج الفنيات اللغوية والتقعيد لها السابقة عليه[١٥].

ومع ظهور المدارس اللغوية قديما وتمسكها بالهدف العام في الحفاظ على لغة القرآن الكريم، ومع نشأة المدارس اللغوية الحديثة تلك التي تسلقت على علوم النفس والاجتماع وبعض العلوم الإنسانية حديثة الفكر والأسلوب، أخذت الدراسات التركيبية في التأرجح بين المفهوم البنائي للنص ودور وأثر الملابسات الخارجية على النص اللغوي عند المدرسة الألمانية التاريخية المقارنة، والمدرسة الوصفية الأمريكية، والمدرسة الأوروبية [١٦]، كما سيتضح من خلال الدراسة.

التداولية لغة واصطلاحًا :

التداولية: مصدر صناعي منسوب إلى تداول على صيغة تفاعل التي تعني التأثير المتبادل بين طرفين أو عدة أطراف؛ من مادة (دول)، وفي تاج العروس" تَداوَلُوه: أَخَذُوه بالدُّوَل، وتَدَاوَلَتْه الأيدي: أَخَذَتْه هذَه مَرَّةٌ وهَذه مَرَّةٌ"[١٧]؛ وقوله تعالى: (وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ)[١٨] أي نُدِيرُها، مِن دالَ: أي دارَ "[١٩].

وبالنظر لدلالات التحول والدوران، وإلى الموقف اللغوي فإن التداولية تعني حالة التواصل بين أطراف الموقف اللغوي من مرسل ومستقبل ورسالة، بما يشتمل عليه كل منهم من ثوابت ومتغيرات وعوارض؛ والآثار المترتبة على ذلك.

حيث إن التداولية " فرع من فروع علم اللغة يدرس استعمال اللغة في المقامات التواصلية المختلفة، ويهتم بمقصد المتكلم، وأثر كلامه على المتلقي"[٢٠].

---

[١٥] انظر: (شاهين) عبد الصبور، العربية لغة العلوم والتقنية، دار الاعتصام، القاهرة، ط٣، ١٩٨٩م، ص ٥٩.

[١٦] انظر: (سامبسون)جيفري، المدارس اللغوية التطور والصراع، ترجمة: أحمد نعيم الكراعين، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٩٣ط١،م، ص٣٢.

[١٧] (الزبيدى) محمد مرتضى الحسينى، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: محمود محمد الطناحي- التراث العربي، وزارة الإعلام ،الكويت ١٩٩٣م مادة (دول)، جـ ٢٨/ ص ٥٠٧.

[١٨] آل عمران : الآية ١٤٠.

[١٩] (الزبيدى) محمد مرتضى الحسينى، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: محمود محمد الطناحي- التراث العربي، وزارة الإعلام ،الكويت ١٩٩٣م مادة (دول)، جـ ٢٨/ ص ٥٠٧.

[٢٠] (درويش) فاطمة عادل محمد عبده، المعنى التداولي في الحوار القرآني دراسة لغوية، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم ، قسم علم اللغة والدراسات السامية والشرقية، ٢٠١٨م، ص٤٣؛ وانظر: Yule(George),Pragmatic, Oxford University,Press,1996, p.3.

ولأن هذه الدراسة تتناول التداولية بين التفجي والإيجاز والعلاقة بين التداولية والفنيات اللغوية على ضوء البنوية فإنها تركز على النص أو الرسالة بشكل مباشر، وأثر المرسل والمستقبل على الرسالة وعلى النمط التركيبي والشكل الدلالي، بصورة مركزة دون الالتفات إلى العكس من أثر الرسالة على المرسل والمستقبل؛ والذي تتضمنه التداولية أيضا؛ ذلك لأن "النص هو نتيجة العملية الكلامية بجملتها"[٢١].

أما السياق فهو حامل مؤشرات توجيه النصوص؛ ومع الاهتمام الكبير بالضوابط والمعايير المتبعة في تدوين النص القرآني بلفظه، واعتماد المدارس التدوينية للعهد القديم على المعنى العام، ظهرت إشكالية تداخل القرائن خاصة إذا تعلق الأمر بظاهرة الحذف وتقدير المحذوف!

وهنا ساهمت التداولية "بعناصرها الإشارية: الزمانية والمكانية والشخصية والخطابية"[٢٢]؛ في تجسيد الموقف الخطابي "لأن الكثير من الصفات المنسوبة إلى الجملة تنتمي في الواقع إلى الوحدات الدلالية والتداولية Pragmatic"[٢٣]؛ ليس في الجملة وحسب بل في النص بشكل موسَّع؛ ومن هنا يمكن تتبع أثر السياق في تقدير المحذوف وفق الموقف الخطابي في العربية والعبرية.

ظاهرة الحذف السياقية (التفجي) في العربية والعبرية :

" التفجي Gapping : إلحاق القول بتركيب سابق لكن دون أن يشتمل على فعل يربط السابق باللاحق؛ أي إحداث فجوات في شبكة معلومات البنية السطحية للنص"[٢٤].

وقد شُغل النحاة والبلاغيون والمفسرون بهذه الظاهرة، وتناثرت الإشارات إليها في مصنفاتهم، وقد تتبع بعض المحدثين مصطلح الحذف عند (سيبويه)، فلم يجدوا له تحديدا واضحا، إذ إن هذا المصطلح يختلط بمصطلح آخر هو (الإضمار)[٢٥].

---

[٢١] للمزيد: (רפאל) נייר : מבוא לבלשנות، יחידות ٤-٥، האוניברסיטה הפתוחה، ١٩٨٩، (טקסט- מהו) עמי ١٢٥

[٢٢] (مصطفى) حمادي، تداوليات الإشاريات في الخطاب القرآني، مجلة الأثر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة ورقلة، الجزائر،عدد ٢٦، سبتمبر ٢٠١٦م، ص٦٤.

[٢٣] (دي بوجراند) روبرت، النص والخطاب والإجراء، ترجمة : تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط ١، ١٩٩٨م، ص٨٩.

[٢٤] (علي)هاجرمصطفى إبراهيم، التناص في سفر الأجاداه، ص ١٠٨؛ نقلا عن (دي بوجراند) روبرت، النص والخطاب والإجراء ص٣٤٢.

ويُعد الحذف (التفجي) من الظواهر السياقية، وهو يُقصد لذاته لإضفاء دلالات محددة حيث إن "الحذف آلية من آليات السبك، توظف داخل النص لأغراض عدة، ويختلف الحذف عن الاستبدال بأن العنصر لا يُعوَّض عنه بآخر لذلك يسمى (بالاستبدال الصفري)، وإنما قد يُحذف العنصر ليُحدِث فراغا بنيويا يهدي المتلقي إلى ملئه اعتمادًا على النص، لذا فهو (نافع عند رفض محتويات قد يتوقعها السامع)"[٢٦]؛ وهو أعم من الإضمار ويهدف بصورة مباشرة للإيجاز حسب تنوع الأغراض النصية وغير النصية من ذلك الإيجاز؛ أو الأغراض التداولية عامة وله أغراضه الكثيرة؛ والإيجاز الذي يتم عن طريق الحذف (הצמצום ע"י ההשמטה). أو الاكتفاء (ההסתפקות)، أو الحذف في عمومه (ההשמטה)، (הצמצום) موجود في أماكن مختلفة في العهد القديم[٢٧].

ذلك مثل نموذج الوصايا العشر محل الدراسة حيث يُقدر ما تعود إليه كاف الخطاب في التعبير (אֱלֹהֶיךָ) على متعدد محذوف أو مُتَفَجَّى يوضحه السياق مع عدم دقة قابلية الاسترداد لإرادة العموم فقد تعود على موسى عليه السلام، وعلى المتلقي للنص في كل زمان ومكان، وعلى بني إسرائيل عامة، وعلى الناجين مع موسى عليه السلام من فروعون وقومه حال انشقاق البحر (אָנֹכִי יְהוָה אֱלֹהֶיךָ אֲשֶׁר הוֹצֵאתִיךָ מֵאֶרֶץ מִצְרַיִם מִבֵּית עֲבָדִים)[٢٨].

كما عرف اليهود الحذف لأول مرة في أشعارهم الدينية، حيث كانوا يكثرون من الاقتباس والتضمين من العهد القديم، في أشعارهم الدينية على وجه الخصوص؛ ومن ذلك ما وَصْفه إبراهيم عزرا عن رحلته في البحر [٢٩]:

וּבְטָפִינָה בַמְּדִינָה עָבַרְתִּי	עָזַבְתִּי אֶת בֵּיתִי נָטַשְׁתִּי
وبسفينة على دولة مررت	غادرت بيتي، تركت

[٢٥] (أبو عفرة) محمد سالم، السبك في العربية المعاصرة بين المنطوق والمكتوب، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١٠م، ص ١١٦.

[٢٦] (علي)هاجرمصطفى إبراهيم، التناص في سفر الأجاداه لحاييم نحمان بيالك ويهوشواع حنا رفنتسكي دراسة في علم لغة النص، رسالة دكتوراه، جامعة المنصورة، كلية الآداب، قسم اللغات الشرقية، ٢٠١٦م، ص ١٠٨؛ نقلا عن (دي بوجراند) روبرت، النص والخطاب والإجراء ص ٣٤٣.

[٢٧] (سلام) شعبان محمد عبد الله، التأثيرات العربية في البلاغة العبرية، ص ٩٣: ٩٧ بتصرف.

[٢٨] أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية، لا يكن لك آلهة أخرى أمامي (خروج ٢/ ٢٠)

[٢٩] انظر: (سلام) شعبان محمد عبد الله، التأثيرات العربية في البلاغة العبرية، ص ٩٣: ٩٧ .

فكلمة נָטַשְׁתִּי (تركتُ) إما أن تعود على (بيتي)، أو تعود على (ميراثي) إذا اعتبرنا أن المحذوف هنا هو ما جاء في العهد القديم (إرميا ٧/١٢) (تركت بيتي، رفضت ميراثي) (עזבתי את בֵּיתִי נָטַשְׁתִּי את נחלתי)[٣٠].

لذلك فإن الإيجاز بحذف ما يعلمه أو يُقدِّره المستمع أو القارئ من سياق المعنى أو ما يعرفه من تراثه، من الظواهر الشائعة والموجودة في الأدبين العربي والعبري؛ سواء بحذف حرف، أو مقطع، أو كلمة، أو كلمات؛ وإذا كان الحذف موجودا في العهد القديم، وعند الشعراء اليهود، إلا أن هناك فرقا بين استخدام العهد القديم (المقرا) للحذف أو الاكتفاء، واستخدام الشعراء له[٣١].

فبينما يعتمد العهد القديم، وكذلك الشعر العربي في الحذف على إدارك وفهم المستمع أو القارئ، وقدرته على فهم وتقدير ما هو محذوف، كما جاء الحذف في معظم الأشعار العبرية في الكلمات التي اقتبست من العهد القديم؛ إذ يكتفي الشعراء ببعضها، وعلى القارئ أو المستمع أن يكمل لنفسه ما حذفه الشاعر[٣٢].

[٣٠] انظر: (سلام) شعبان محمد عبد الله، التأثيرات العربية في البلاغة العبرية، ص ٩٣: ٩٧ .
[٣١] انظر المرجع السابق والصفحة .
[٣٢] (سلام) شعبان محمد عبد الله، التأثيرات العربية في البلاغة العبرية، ص ٩٣: ٩٧ بتصرف، وانظر (ילין)דוד، תורת השירה הספרדית. ירושלים: הוצאת ספרים ע"ש י"ל מאגנס، האוניברסיטה העברים، מהדורה שלישית، ١٩٧٨، ע' ٢١٥.

المبحث الأول

القرائن الضابطة للتفجي والإيجاز في وصايا سورة الأنعام.

وردت في سورة الأنعام وصايا عامة تشتمل على المحرمات من حيث ما يشوب العبادات والعلاقات الإنسانية داخل وخارج إطار الأسرة الواحدة، كذلك المحرمات في إطار العلاقات الاجتماعية العامة مع القريب والجار.

وقد تمت الإشارات الإحالية إلى توجيه الإيجاز بالحذف لقرائن مرتبطة بروافد العهد الذكري والعهد الذهني المتعلقة بالمُسْتَقْبِل المتفاعل مع النص أو الموجه إليه حيث إن هناك "خمسة مسالك للحظ القرينة في القرآن الكريم بناء على طبيعة العلاقة بين المعنى المُمَثِّل للقرينة واللفظ الذي يفهم منه هذا المعنى، وهي: دلالة التضمين، دلالة الالتزام، استعمال ضمير الغيبة لما سبق خطابه، تجريد المعنى الكلي لعبارة مركبة، لحظ العلاقات النحوية الدلالية"[٣٣].

لذلك فإن الإضمار أو الإيجاز بالحذف في القرآن الكريم من قبيل مفهوم مساحات التفريغ داخل النص الواحد بمعنى " أن يحذف الكاتب جزءا من النص ليبرز جزءا آخر يوظفه وفق مكتوبه أو نصه العام؛ فيربط بين جزأين من النص الواحد مع حذف ما بينهما، كما أنه قد يقدم اللاحق على السابق"[٣٤]، ففي افتتاحية الوصايا قوله تعالى: " قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا ..."[٣٥]

- **دلالة التضمين :**

فعل الأمر (قُلْ) فاعله مستتر تقديره (أنت)[٣٦] ضمير مخاطب يعود على المفرد المذكر بعلامة صفرية وفق إشارة إحالية مذكورة [٣٧] – من قبيل إحالة العهد الذكري –[٣٨]

---

[٣٣] انظر: (أنيس) تامر عبد الحميد محي الدين، الإحالة في القرآن الكريم دراسة نحوية نصية، مكتبة الإمام البخاري للنشر، القاهرة، ٢٠٠٨م،ص٤٥٨، ٤٥٩.

[٣٤] (علي)هاجرمصطفى إبراهيم، التناص في سفر الأجاداه ، ص ١٠٩، بتصرف.

[٣٥] سورة الانعام، الآية : ١٥١.

[٣٦] في بناء النص على المستوى الخارجي، يلاحظ أن الكاتب في العموم وهو ينتج نصه يتصور قارئا معينا؛ انظر: يقطين(سعيد)، انفتاح النص الروائي النص والسياق، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،المغرب، ط٢، ٢٠٠١م ص٧٦.

[٣٧] يكون التحديد السلبي للمعنى عن طريق القيم الخلافية ؛ انظر:(حسان)تمام، اللغة بين المعيارية والوصفية، عالم الكتب، القاهرة،ط٤،٢٠٠١م، ص ١٨٣.

[٣٨] العهد الذكري: هو تلك الوسيلة أو القرينة الدالة على المحال إليه، وتشمل كل القرائن النصية التي من شأنها أن ترشد المتلقي إلى المراد من العنصر المحيل؛ انظر: (أنيس) تامر، الإحالة في القرآن الكريم دراسة نحوية نصية، ص ٢٢٣.

إلى كاف الخطاب ضمير المخاطب البارز المتصل باعتبار المرجعية المتقدمة إلى قوله تعالى (وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ)[٣٩]

حيث إن المُخاطَب شمله التبعيض بالأداة السابقة عليه أداة الجر (من) فهو رسول من الرسل، وجزء من كل على سبيل التضمين لأن "التضمين يقوم على تقدير محذوف تظهره القرينة اللفظية ودليل التناسب قائم"[٤٠] فشملت الرسالة المخاطَب المركزي[٤١]، حيث تعود كاف الخطاب على رسول متأخر زمنيا عن الرسل الذين عمتهم الآية الكريمة؛ ذلك لأن الضمير" أو عموم الضمائر تكون ذات مراجع متقدمة عليها في اللفظ أو في الرتبة أو فيهما معا، والأغلب في هذا المرجع أن يكون اسما ظاهرا محدد المدلول.

- **تعيين القرينة :**

إن تحديد الاسم الظاهر قرينة لفظية تعين الإبهام، الذي كان الضمير (المستتر في فعل الأمر (قُلْ)) يشتمل عليه بالوضع، لأن معنى الضمير وظيفي وهو الحاضر– ويشتمل على المخاطَب– أو الغائب على إطلاقهما فلا يدل دلالة معجمية إلا بضميمة المرجع وبواسطة هذا المرجع يمكن أن يدل الضمير على معين، وتقدم هذا المرجع لفظا أو رتبة أو هما معا ضروري للوصول إلى هذه الدلالة، كما أن للضمائر أهميتها في علاقة الربط، حيث إن رجوعها إلى مرجع يغني عن تكرار لفظ ما رجعت إليه مما يقوي من تماسك أطراف الجملة "[٤٢].

لكن لا يعني الحذف أن عنصرا كان له وجوده في الكلام ثم حذف بعد وجوده؛ فلا يفترض بأن أصل الآية كانت (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل)(تَعَالَوْا) ولأن القرينة متعينة ودالة على المحذوف سقط الوصف بالتفجي .

---

[٣٩] سورة الانعام، الآية : ١٠.

[٤٠] انظر: (البليمي) محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله، التضمين وأثره في تفسير القرآن الكريم دراسة تطبيقية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، قسم التفسير وعلوم القرآن، ١٤٢٨هـ، ص ١٢.

[٤١] المخاطب المركزي هو النبي محمد صلى الله عليه وسلم لأنه مَن نُزِّل عليه القرآن الكريم بواسطة جبريل عليه السلام قال تعالى "قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ" سورة البقرة الآية٩٦، وقوله تعالى " وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ " سورة آل عمران الآية ١٤٤.

[٤٢] (حسان)تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ط ٤، ٢٠٠٤م، ص١١١، ١١٣ بتصرف.

ولأن "قرينة المنطوق والمكتوب مجال العلامة، فلابد أن يكون المبنى جزءا من النظام وأن القواعد كلها ليست أكثر من تفصيل قصة الصلة بين المعاني والمباني، فوضوح المقصود بالمبنى يتوقف إذا على إدراك الفرق بين المبنى وبين العلامة"[٤٣]، مع تحديد الموقع بشكل دقيق.

- **لحظ العلاقات النحوية الدلالية:**

إن التفريق بين حالين للقرآن الكريم، حال النزول وحال الجمع والاكتمال، يبنى عليه ضبط مفهوم العهد الذهني والتمييز بينه وبين العهد الذكري صاحب القرينة المتباعدة، فلهذا التفريق أثره في اختلاف تشكيل المحال إليه واستحضاره لدى المتلقي في الحالين؛ كما أن تحديد ثلاثة روافد أساسية للعهد الذهني في القرآن الكريم المشتملة على أسباب النزول، والسِّيَر، والسياق العام لنزول القرآن يسهم في تشكيل القرينة وقوتها"[٤٤]. بل هو الفارق بين مقررات النظام اللغوي، وبين مطالب السياق الكلامي الاستعمالي؛ فالحذف مثلا عند توالي الأمثال يخضع للذوق الاستعمالي؛ فيعمد الاستعمال إلى اتخاذ الإجراءات المطردة كلما حدث الموقع الذي يتطلبه، ومن هنا يكون قاعدة فرعية، أو نظاما فرعيا بالنسبة للنظام اللغوي العام[٤٥].

وتتسم حدود المرجعية بضوابط معينة لا يغفلها النص بحال من الأحوال فقد اشتمل القرآن الكريم على قرب العهد الذكري لتركيب مشابه لمحل الدراسة في قوله تعالى " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا"[٤٦].

حيث إن فاعل (قُل) ضمير مخاطب مستتر تقديره (أنت) يعود إلى محال إليه متقدم وهو (النَّبِيّ).

"فالنص ذو بداية ومجال وسطٍ قد يطول وقد يقصر، ونهاية، وهي نقاط يمكن التوقف عند أي واحدة منها وفصلها عن غيرها، ولكنها لا يمكن أن تفهم معزولة عنها. فكل

---

[٤٣] المرجع السابق، ص١٣٥ ،بتصرف.
[٤٤] انظر: (أنيس) تامر عبد الحميد محي الدين، الإحالة في القرآن الكريم دراسة نحوية نصية، ص٤٥٨، ٤٥٩.
[٤٥] انظر: (حسان)تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، ص٢٩٨.
[٤٦] سورة الأحزاب ، الآية ٥٩.

مكون من مكوناته يمثل مَعْلَماً أو نقطة تتقدم بها الأحداث إن كانت حدثاً، وتتعدد بها الذوات إن كانت ذاتاً، وهي يمكن العودة إليها عن طريق الإحالة، وبالقياس عليها يجري ترتيب عالم الخطاب وبناء النص بالاستتباع "[٤٧].

- **الإيجاز بين الإحالة الذكرية والذهنية :**

ومما تجدر الإشارة إليه أن "التقديم والتأخير لا يأتيان للاهتمام أو للعناية، وإنما يأتيان لتحرير المعاني وضبطها"[٤٨] لذا فإن بعد المسافة في الإحالة مع وحدة القرينة مضعفا للتعيين، أو محولا للإحالة من ذكرية إلى ذهنية، غير أن قرب المسافة مع تعدد القرينة مرجحا من مرجحات تعيينها؛[٤٩] وعند تغير الإحالة من ذكرية إلى ذهنية يكون الإيجاز حيث إن وجود القرينة يعد من موانع التفجي، ومن ناحية أخرى فإن علاقة هيئة النص وبنيته بهذا الشكل التداولي يغطي" جوانب المعنى التي لا تغطيها النظرية الدلالية مثل الافتراض المُسْبَق، ودراسة المبادئ التي تحكم الاستخدام التواصلي للغة في إنتاج أو تلقي النص أو الخطاب اللغوي والتفاعل الذي ينشأ في السياقات (الأحداث الكلامية) التي تكتمل فيها الرسالة اللغوية "[٥٠].

فتتحدد قيمة كل مفردة في القرآن الكريم بوجودها مع غيرها صراحة أو مع قابلية استردادها عند الحذف دون تشعبات مانعة من إرادة المعنى الأصلي ودون وجود فجوات نصية.

والإيجاز هو: جمع المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل مع الإبانة والإفصاح؛ ويكون بتضمين العبارات القصيرة معاني كثيرة من غير حذف، ويسمى إيجاز قِصَر؛ أما إذا حُذفت كلمة، أو جملة، أو أكثر مع قرينة تُعيِّن المحذوف كان ذلك إيجاز حذف[٥١]؛

---

[٤٧] (أبو عفرة) محمد سالم، السبك في العربية المعاصرة بين المنطوق والمكتوب، ص ٣٠ نقلا عن : الزناد(الأزهر)، نسيج النص بحث فيما يكون الملفوظ به نصا، المركز الثقافي العربي، بيروت،١٩٩٣م، ص٤٣.

[٤٨] (ضيف) شوقي، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، طـ ١١، ٢٠٠٠م، ص ١٧٣.

[٤٩] (أنيس) تامر، الإحالة في القرآن الكريم دراسة نحوية نصية، ص ٤٦٠.

[50] (Crystal)David , (2008), A Dictionary of Linguistics and Phonetics, Blackwell, p 379-380

[٥١] (الجارم)على، ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع ودليل البلاغة الواضح، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠١٤م، ص ٢٨٠.

فاشتملت (قُل تَعَالَوْا) على (إضمار) – حذف– الفاعل لاتساع التقدير وفق السياق والمفعول كذلك.

أما تفجي التناص، فهو أن يحذف الكاتب ضمنا المناسبة بين النصين أو الوحدتين النصيتين اللتين قد جمع بينهما بآلية من آلياته، وهو يشبه إلى حد بعيد المقامية المكتسبة، أي إحداث فجوة ملموسة في التسلسل السياقي وفي علاقة الوحدة النصية بالعنوان، فالنص حين ذلك مقاميته جامدة، ولا يزال القارئ يستشعر تلك الفجوة السياقية كلما أعاد قراءة النص[٥٢]، ولأن التفجي هو افتعال الفجوة من الكاتب فهو من الأنماط المستبعدة في القرآن الكريم، ذلك لضَبْط مفهوم العهد الذهني بالقرآن الكريم؛ وللمفهوم اللغوي حول التفجي حيث إن " تَفَاجَى الشَّئُ: صَار لهُ فَجْوَة، والفَجْوَةُ هي الفُرْجَةُ والمُتَّسَعُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ"[٥٣] أما القرآن الكريم فهو قائم على التسلسل، والاستتباع للأحداث، والاتصال المباشر بين المرسل والمستقبل المركزي مع وحدة المدرسة التدوينية؛ لذلك فهو ذا قرائن مانعة من وجود فجوات بين نصوصه، ولإمكانية استرداد المحذوف دون تَشَعُّب في مرجعية الضمير حيث عاد الضمير المستتر تقديره أنت فاعل (قُل) على دلالة التضمين في قوله تعالى (بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ).

[٥٢] (علي) هاجرمصطفى إبراهيم، التناص في سفر الأجاداه، ص ١٠٩.
[٥٣] انظر:(الزبيدى) محمد مرتضى الحسينى، تاج العروس من جواهر القاموس- التراث العربي، وزارة الإعلام ،الكويت ٢٠٠١م مادة (ف ج و) جـ ٣٩ ،ص ٢١٦، ٢١٧..

المبحث الثاني

القرائن الضابطة للتفجي والإيجاز في وصايا سفر الخروج.

جاءت وصايا سفر الخروج على هيئة تركيبية إنشائية من حيث الأمر والنهي مع التتابع السردي لجملة المحرمات والتشريعات.

حيث " يغطي هذا السفر مرحلة زمنية تقدر بمائة وثلاثين سنة تقريبا من موت يوسف عليه السلام إلى عهد بناء الهيكل، وهو في نظر الكثيرين امتداد لسفر التكوين؛ فيشتمل على معاناة اليهود وتخليصهم من بطش فروعون بموسى عليه السلام، بل واتِّبَاع موسى عليه السلام بعد جملة من المعجزات، ثم اجتياز البحر وخروج بني اسرائيل من مصر، كما تناول السفر الحديث عن الأعياد الدينية اليهودية"[٥٤] فإلى جانب حادثة الخروج الرئيسية تلك " يحتوي السفر على عدة موضوعات أخرى، منها تجلي الرب لموسى عليه السلام على جبل سيناء، وقطع العهد بين الرب وجماعة بني اسرائيل الخارجة من مصر، والقوانين المتصلة بهذا العهد بالإضافة إلى المجموعات القانونية الأخرى التي تلقتها الجماعة على يد موسى عليه السلام"[٥٥].

وأهم هذه الأحداث ما اشتمل عليه السفر من إعلان " الله أن إسرائيل سيكون شعبه، وأعطاهم الوصايا العشر"[٥٦] بألفاظ مُحكمة تتناسب مع أهمية ذلك العهد فجاءت وفق أنماط تركيبية متميزة بين الأمر والنهي والتعليل، اتسمت في أغلبها بالإيجاز، والتتابع، والاكتفاء في بعض الأحيان، وإن ظهر خلالها التفجي بصورة أو بأخرى.

- **دلالة التضمين :**

إن افتتاحية الوصايا بالخطاب المباشر للمفرد المذكر الحاضر אָנֹכִי יְהוָה אֱלֹהֶיךָ ... مع سياقية النصوص السابقة تؤكد على مرجعية (كاف الخطاب) إلى موسى عليه السلام حيث سبقه النص:

---

[٥٤] (إدريس) أعبيزة، الوافي في نحو اللغة العبرية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمغرب، الرباط،٢٠٠٢م، ص ١٠،١١ بتصرف.

[٥٥] (حسن) محمد خليفة، مدخل نقدي إلى أسفار العهد القديم، ص ٣٨،٣٩.

[٥٦] (دافرس) فرنسيس، وجماعة من اللاهوتيين، تفسير الكتاب المقدس، دار منشورات النفير، بيروت، لبنان، طـ٣، ١٩٨٦م، ص ٢١٢.

" כג וַיֹּאמֶר מֹשֶׁה, אֶל–יְהוָה, לֹא–יוּכַל הָעָם, לַעֲלֹת אֶל–הַר סִינָי: כִּי–אַתָּה הַעֲדוֹתָה בָּנוּ, לֵאמֹר, הַגְבֵּל אֶת–הָהָר, וְקִדַּשְׁתּוֹ .כד וַיֹּאמֶר אֵלָיו יְהוָה לֶךְ–רֵד, וְעָלִיתָ אַתָּה וְאַהֲרֹן עִמָּךְ; וְהַכֹּהֲנִים וְהָעָם, אַל–יֶהֱרְסוּ לַעֲלֹת אֶל–יְהוָה--פֶּן–יִפְרָץ–בָּם .כה וַיֵּרֶד מֹשֶׁה, אֶל–הָעָם; וַיֹּאמֶר, אֲלֵהֶם ..."[٥٧] لكن النعت التالي للأحداث والمعايشين لها يتنافى مع رجوع الضمير على موسى عليه السلام وحده، فهو من قبيل التعبير بالجزء وإرادة الكل فالخطاب مُوَجَّه لبني اسرائيل عامة متمثل في موسى عليه السلام "... אֲשֶׁר הוֹצֵאתִיךָ מֵאֶרֶץ מִצְרַיִם מִבֵּית עֲבָדִים ... " حيث إن الخروج كان للشعب عامة؛ لكن مع التزام الخطاب للمفرد المذكر في سياق الوصايا كاملة "... לֹא–יִהְיֶה לְךָ אֱלֹהִים אֲחֵרִים، עַל–פָּנָי ... " ومع الرجوع بعد إتمام الوصايا إلى الخطاب لمطلق الجمع "... לֹא תַעֲשׂוּן، אִתִּי: אֱלֹהֵי כֶסֶף וֵאלֹהֵי זָהָב... " ظهر التفجي، ودعَّم صعوبة الاسترداد، وأكد على الاختلاف في نمط الكتابة أو الكاتب نفسه لعدم اتحاد النمطية السياقية؛ وإلا فالمقصود هو توجيه الوصايا لكل إنسان حيث العموم في قوله (אָנֹכִי יְהוָה אֱלֹהֶיךָ) لكن التحديد بذكر حادثة الخروج (...אֲשֶׁר הוֹצֵאתִיךָ ...) أبطل ذلك الزعم ورجح ظهور التفجي حيث تَشَعُّب مرجعية ضمير المخاطب.

"على أساس أن تحليل المعنى اللغوي (الظاهر والمضمر) يتطلب التكامل بين التداولية (بإجراءاتها المختلفة كأفعال الكلام والافتراض المُسْبَق...) والدلالة بمفهومها العام"[٥٨].

ومن ناحية أخرى فإن الإضمار أو الحذف يتطلب: قابلية الاسترداد من السياق اللغوي وغير اللغوي، وسهولة الفهم والتقدير مع عدم اللبس.

[٥٧] فقال موسى للرب لا يقدر الشعب ان يصعد الى جبل سيناء لانك انت حذرتنا قائلا اقم حدودا للجبل و قدسه ٢٤ فقال له الرب اذهب انحدر ثم اصعد انت و هرون معك و اما الكهنة و الشعب فلا يقتحموا ليصعدوا الى الرب لئلا يبطش بهم ٢٥ فانحدر موسى الى الشعب و قال لهم ... (خروج ١٩/ ٢٣ : ٢٥)

[58] (Brown) Keith and James Edward Miller (2013),The Cambridge Dictionary of Linguistics, Cambridge University Press, p 352.

وهذا ما يعلل ما ذهب إليه مايكل هايداي ورقية حسن (١٩٧٦) من أن "الحذف" بهذا المفهوم هو أحد عناصر التماسك النصي [٥٩] (إلى جانب عود الضمير والربط ...إلخ) فالربط والحذف من أساسيات البناء اللغوي، وليست من الفنيات المتروكة لذوق وفنية الكاتب وتقدير المتلقي؛ بدليل تضافر القرائن الذكرية والذهنية، وإلا خرج النص من الوحدة والتماسك إلى التخلخلات والتفجيات.

- **تعيين القرينة :**

وردت الوصايا العشر في الإصحاح العشرين من سفر الخروج وتكررت في الإصحاح الخامس من سفر التثنية على نحو يبدو منه أنها كانت عصب الشريعة الموسوية[٦٠]، تشمل الأربع الأولى واجبات الإنسان نحو الله، وتشمل الست الأخرى واجبات الإنسان نحو قريبه؛ واستعمال كلمة وصايا في الترجمة لما يسميه الكتَّاب(الكلمات العشر) يضفي عليها نغمة صارمة أكثر من اللازم فلقد أعطيت حتى يؤمن بها الشعب، ويتبارك بها؛[٦١] ولقد اتسمت الوصايا بوجود درجات متفاوتة لضمير المخاطب البارز المتصل بين الحاضر للمفرد المذكر في النص " אָנֹכִי יְהוָה אֱלֹהֶיךָ، אֲשֶׁר הוֹצֵאתִיךָ מֵאֶרֶץ מִצְרַיִם מִבֵּית עֲבָדִים: לֹא-יִהְיֶה לְךָ אֱלֹהִים אֲחֵרִים، עַל-פָּנָי "[٦٢] من خلال كاف الخطاب في موقع الإضافة من التركيب الاسمي (אֱלֹהֶיךָ)؛ وبين الحاضر لمطلق الجمع في النص " לֹא תַעֲשׂוּן، אִתִּי: אֱלֹהֵי כֶסֶף וֵאלֹהֵי זָהָב، לֹא תַעֲשׂוּ לָכֶם "[٦٣] من خلال واو الجماعة في موقع الفاعلية من التركيب الفعلي (תַעֲשׂוּן) حيث إن واو الجماعة ضمير متصل مبني في موقع – محل رفع – فاعل؛ يعود على بني إسرائيل[٦٤] (אֶל-בְּנֵי יִשְׂרָאֵל) المذكورة في

---

[59] Sanders and Pander Maat, (2006), Cohesion and Coherence: Linguistic Approaches, in Encyclopedia of Language and Linguistics , p.1552

[٦٠] (ظاظا)حسن، الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه، دار القلم ، دمشق، دار العلوم ببيروت، طـ٢، ١٩٨٧، ص ١٣٩.

[٦١] (دافرس) فرنسيس، وجماعة من اللاهوتيين، تفسير الكتاب المقدس، جـ ١/ ص ٢٤٣.

[٦٢] أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية، لا يكن لك آلهة أخرى أمامي (خروج ٢/ ٢٠)

[٦٣] لا تصنعوا معي الهة فضة و لا تصنعوا لكم الهة ذهب (خروج ٢٠/ ٢٠)

[٦٤] الإعراب من بقايا الساميات التي اندثرت وحافظت عليها العربية على الرغم من تخلي العبرية عنها والاكتفاء بالموقعية. انظر: (عبد الرءوف)عوني قواعد اللغة العبرية، الهيئة العامة للكتب والأجهزة العلمية مطبعة جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٧١م، ص ١٨.

النص السابق عليه " וַיֹּאמֶר יְהוָה אֶל-מֹשֶׁה، כֹּה תֹאמַר אֶל-בְּנֵי יִשְׂרָאֵל: אַתֶּם רְאִיתֶם- -כִּי מִן-הַשָּׁמַיִם، דִּבַּרְתִּי עִמָּכֶם "[٦٥] .

وهذا التشكيل في الضمير بالنسبة للمخاطب قد يندرج تحت الالتفات أو الاستطراد[٦٦]؛ بمعنى التحول المفاجئ החלוף הפתאומי،[٦٧] أو الانحراف הסטיה،[٦٨] أو القفز הקפיצה[٦٩]، فهو يخلق التفجي بخروجه عن الرصف والنظم المتناوب والمتتابع الذي يتسلسل فيه البناء ليخرج على هيئة وِحدة واحدة متماسكة ومترابطة؛ وإن عمد المتلقي إلى الاستدلال حيث إن "الاستدلال لا يختلف كثيرا في ظل التناص بالنسبة للمتلقي، إلا أن الأمر قد يزداد تعقيدا بالنسبة للكاتب حين يحدث هذا التفجي في ظل التناص؛ حيث يتحمل المؤلف على عاتقه إنشاء روابط سياقية ودلالية بين الأجزاء المتناصة قبل إحداث تلك الفجوات في بنيتها السطحية الجديدة "[٧٠].

وإن كانت الروابط السياقية تلك من قِبَل الشارح والمفسر للنص الأصلي فهي بذلك تصبح الداعم الرئيس للتفجي؛ ومع ما ذهب إليه البعض إلى أن " الكلمات العشر كانت في الأصل حين نُطق بها: (أكرم أباك وأمك)، (لا تشته بيت قريبك) فإذا ما صح ذلك فإن الحجم المطول للوصايا يكون تعليقا موصى به لموسى عندما أعلنها للشعب"[٧١].

مما يؤكد على صعوبة الاسترداد حيث إن " (الحذف) ellipsis أو (الإضمار) يُستعمل في التحليل اللغوي للإشارة إلى حذف كلمة أو أكثر، مع القابلية للاسترداد recoverable بصورة مباشرة (من خلال السياق اللغوي)، بشكل لا لبس فيه؛ ولكن قد لا

---

[٦٥] فقال الرب لموسى هكذا تقول لبني اسرائيل انتم رايتم انني من السماء تكلمت معكم (خروج ١٨/ ٢٠)

[٦٦] انظر: (سلام)شعبان محمد عبد الله، التأثيرات العربية في البلاغة العبرية، ص١٦٣

[٦٧] انظر: (הלפר)בן ציון، שירת ישראל. ליפסיה: הוצאת אברהם יוסף שמיכל ١٩٢٤، ע' ١٩٥.

[٦٨] انظر: (אבן עזרא)משה בן יעקב، ספר העיונים והדיונים על השירה העברית، ע' ٢٨١.

[٦٩] انظر: (ילין)דוד، תורת השירה הספרדית. ירושלים: הוצאת ספרים ע"ש י"ל מאגנס، האוניברסיטה העברים، מהדורה שלישית، ١٩٧٨، ע' ٣٠٣.

[٧٠] (علي)هاجرمصطفى إبراهيم، التناص في سفر الأجاداه، ص ٥٦.

[٧١] (دافرس)فرنسيس، وجماعة من اللاهوتيين، تفسير الكتاب المقدس، جـ ١/ ص ٢٤٣.

يُستخدم مصطلح "الحذف" بمفهومه الشائع، وإنما يُستخدم من باب الاختصار في اللغة المحكية"[٧٢].

- **لحظ العلاقات النحوية الدلالية :**

تعتبر إشكالية تعدد المدارس التدوينية من أكبر المشكلات اللغوية التي تبرز في الدراسات الدلالية والتداولية للعهد القديم؛ كما أن الخلاف وعدم القطع بالدليل على كاتب سفر الخروج يعزز من تفاقم هذه الإشكالية؛ حيث إنه هناك من يجزم بأن "سفر الخروج هو ثاني سفر كتبه موسى –عليه السلام– ولا يوجد في السفر نفسه إشارة تتعارض مع هذا الإثبات"[٧٣] لكن بالنظر في مادة السفر نفسه ومن ثم التركيب اللغوي يُلاحظ أن سفر " الخروج عمل مركب اشترك في تأليفه أكثر من كاتب لا يمكن تحديد هويتهم، وقد تم إرجاع التوراة بأكملها إلى عدة مصادر أهمها الأربعة المعروفة باليهوي، والإلوهيمي، والتثنوي، والكهنوتي؛ وتعود مادة سفر الخروج تحديدا لتلك المصادر عدا التثنوي"[٧٤] فهذا التنوع المصدري يعزز من تفاقم التفجي في النصوص وإن كان غير مقصود لذاته بل استدعته ظروف التدوين المتفاوتة، ولا يمكن أن يتم إرجاع هذه الظاهرة إلى الإيجاز بالحذف في ذاته، ذلك لأن الإيجاز بالحذف يتطلب إثبات القرائن المُعِيْنَة على تحديد المحذوف في ذات النص مهما كانت درجة قربه أو بعده وأيا كانت المسافة بين عود الضمير والقرينة على الاسم الظاهر نفسه.

" ومع الثراء الترادفي في التراث العبري الذي احتواه ذلك المفهوم بين الحذف דרך קצרה والإيجاز הצמצום والاكتفاء ההסתפקות "[٧٥] اتسعت ظاهرة التفجي بين نصوص العهد القديم.

---

72 . (Crystal)David , (2008), A Dictionary of Linguistics and Phonetics, Blackwell, p166

٧٣ (دافرس) فرنسيس، وجماعة من اللاهوتيين، تفسير الكتاب المقدس، ص ٢١٢.

٧٤ (حسن) محمد خليفة، مدخل نقدي إلى أسفار العهد القديم، ص ٣٩ بتصرف.

٧٥ انظر: (שירמן) חיים. השירה העברית בספרד ובפרובאנס. ירושלים : הוצאת מוסד ביאליק، ١٩٥٤. תל אביב:"דביר"، מהדורה שניה מתוקנת הדפסה שלישית ، ספר ראשון، חלק א'، ע' ٥٥.

- **الإيجاز بين الإحالة الذكرية والذهنية :**

تتوقف الشبكة البيانية للإحالات النصية الذكرية والذهنية على مصادر الموقف الكلامي الرئيسة؛ فإذا اتضح موقع المرسل والمستقبل وضحت الرسالة؛ وإلا دخلت في نطاق التعددية التأويلية والتفجيات، ذلك لأن مساحات التفريغ غير قابلة لاستردادات محددة؛ لذلك فإن تعدد المدارس التدوينة قد حَجَّم من التحديد الدقيق للقرائن في نصوص العهد القديم خاصة عند رجوع الضمير على الاسم الظاهر.

ولأن البنية النصية في سفر الخروج تتسم بالكثير من الإحالات نظرا للموضوعات التي يتناولها ذلك السفر، حيث إنه" يمثل مع سفر التكوين امتدادا تاريخيا فيما يتعلق باستمراره في حكاية الأصول التاريخية لجماعة بني إسرائيل، وهو موضوع بدأ بسلسلة الأنساب في سفر التكوين التي تنتهي في سفر التثنية، ومن هذه الناحية يعتبر سفر الخروج الفصل الثاني في تاريخ جماعة بني إسرائيل ويكون مع سفر التكوين وحدة واحدة تستمر حتى نهاية كتب التوراة الخمسة"[٧٦].

لذلك فإن تتبع القرائن وملاحظة الإشارات הרמיזים عند موسى بن عزرا على سبيل المثال؛ يكون باللمحة الدالة، تلك التي تفسر المعنى الكثير للفظ القليل[٧٧]

فإن ثبتت من خلال الألفاظ قرينة مانعة من إرادة ما سواها فهي من باب الإيجاز، وإلا فهي من باب التفجي، لذلك يلزم الاستدلال המסקנה لتتبع ولملاحظة القرائن والإشارات لأنه " يعني ملاحظة الفجوات بين نقاط في مساحة المعلومات كنتيجة للتنشيط الموسع حيث إن المتلقي حينئذ تنشأ لديه شبكة معلوماتية ناتجة عن تداخل مساحة النص المعلوماتية مع مساحة ثقافة المتلقي فيتمكن من خلالها من ملاحظة الفجوات بين نقاط في مساحة المعلومات، فيستدل بما لديه من ثوابت على ما بالنص من معلومات والعكس، فالاستدلال يتمثل في تلك العملية الذهنية التي يجب على القارئ القيام بها للانتقال من المعنى السطحي إلى قصدية الكاتب"[٧٨] أو قصدية كتَّاب سفر الخروج، والعهد القديم في مُجمله.

---

[٧٦] (حسن) محمد خليفة، مدخل نقدي إلى أسفار العهد القديم، ص ٣٩.

[٧٧] (سلام)شعبان محمد عبد الله، التأثيرات العربية في البلاغة العبرية، ص ٤١ نقلا عن: (אבן עזרא) משה בן יעקב. ספר העיונים והדיונים על השירה העברית. ערך הגיה ותרגם בצרוף הערות אברהם שלמה הלקין . ירושלים: הוצאת מקיצי נרדמים، תשל"ה، ע' ٢٣٠.

[٧٨] (علي) هاجرمصطفى إبراهيم، التناص في سفر الأجاداه، ص ٥٦؛ نقلا عن (دي بوجراند) روبرت، النص والخطاب والإجراء ص ١١٥؛ ونقلا عن : (خطابي) محمد، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩١م، ص ٦٩.

الخاتمة

خلصت هذه الدراسة إلى بيان الضوابط الأساسيات للتداولية بين التفجي والإيجاز في العربية الفصحى، والعبرية القديمة؛ متمثلة في وصايا سورة الأنعام في القرآن الكريم، والوصايا العشر في سفر الخروج؛ فكانت هذه نتائج الدراسة:

١. أثر المدارس التدوينية على الوحدة والتماسك النصي يُقَيِّد العهدية الذكرية والعهدية الذهنية في القرآن الكريم حيث إنه يتسم بأحادية المدرسة التدوينية، ومركزية مصدر الوحي؛ لذلك فمحذوفاته تتدرج تحت الإيجاز بالحذف؛ أما العهد القديم فيتسم بالتعددية والتشعب التدويني ومن ثم حرية التقدير – لمساحات التفريغ – أو المحذوفات وفق مبدأ كل مدرسة، فلا توجد أية قيود ضابطة للعهدية الذكرية والعهدية الذهنية بصورة حاسمة، لاتساع صلاحيات قابلية الاسترداد للمحذوفات في وصايا سفر الخروج؛ فيعزز ذلك من وجود التفجي في العهد القديم.

٢. مع انتشار الإسلام ودخوله للبيئات غير العربية، ظهرت الدراسات المهتمة بالتحليل الشكلي والجوهري لآيات القرآن الكريم، واعتباره النموذج الأمثل للتطبيقات النثرية التالية له، ومع ذلك تأرجحت الدراسات التركيبية بين المفهوم البنائي للنص ودور وأثر الملابسات الخارجية في المدارس الاجتماعية والنفسية ذات الظلال اللغوية، لذلك ظهرت طائفة تنزه النصوص المقدسة عن التطبيقات التداولية.

٣. من خلال التداولية يتضح جليا مسرح الحدث الكلامي وعوامل التأثير في البناء اللغوي، كما أن المسافات المحسوبة والمحددة بين الاسم الظاهر ومرجعية الضمير من مدعمات التماسك النصي؛ ولكل ذلك أثره على وجود ولحظ القرائن اللفظية وغير اللفظية بين التفجي والإيجاز فالقرينة وقابلية الاسترداد من الحدود الفاصلة بين التفجي والإضمار أو الإيجاز بالحذف، ومن الأمور الضابطة لمصطلحات مساحات التفريغ والتفجي.

٤. دلالة التضمين من القرائن المعينة على تمييز التفجي من الإيجاز، فهي تعيين القرائن ومن ثم تقوي لحظ العلاقات النحوية الدلالية وتوضح حدود الإيجاز بين الإحالة الذكرية والذهنية.

المصادر والمراجع

أولاً: العبرية:

مصادر عبرية :

- תורה, נביאים, כתובים.

مراجع عبرية:

١. **(אבן עזרא) משה בן יעקב. ספר העיונים והדיונים על השירה העברית. ערך הגיה ותרגם בצרוף הערות אברהם שלמה הלקין . ירושלים: הוצאת מקיצי נרדמים، תשל"ה،**
٢. **(הלפר)בן ציון، שירת ישראל. ליפסיה: הוצאת אברהם יוסף שמיכל 1924،**
٣. **(ילין)דוד، תורת השירה הספרדית. ירושלים: הוצאת ספרים ע"ש י"ל מאגנס، האוניברסיטה העברים، מהדורה שלישית، 1978،**
٤. **(שירמן) חיים. השירה העברית בספרד ובפרובאנס. ירושלים : הוצאת מוסד ביאליק، 1954. תל אביב:"דביר", מהדורה שניה מתוקנת הדפסה שלישית ، ספר ראשון، חלק א'،**
5. **(רפאל) נייר : מבוא לבלשנות، יחידות 4-5، האוניברסיטה הפתוחה، 1989، (טקסט- מהו)**

ثانياً: العربية

المصادر العربية:

- **القرآن الكريم .**
- **العهد القديم .**

المراجع العربية والمعربة:

١. **(أبو عفرة) محمد سالم، السبك في العربية المعاصرة بين المنطوق والمكتوب، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١٠م،**
٢. **(إدريس) أعبيزة، الوافي في نحو اللغة العبرية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمغرب، الرباط،٢٠٠٢م،**
٣. **(الجارم)على، ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع ودليل البلاغة الواضح، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠١٤م**

٤. (الزبيدى) محمد مرتضى الحسينى، تاج العروس من جواهر القاموس- التراث العربي، وزارة الإعلام ،الكويت ٢٠٠١م.
٥. (بشر)كمال محمد، التفكير اللغوي بين القديم والجديد، دار غريب للطباعة والنشر ٢٠٠٥م،
٦. (بشر)كمال محمد، خاطرات مؤتلفات في اللغة والثقافة، دار غريب، القاهرة ، ١٩٩٥م.
٧. (حسان)تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ط ٤، ٢٠٠٤م.
٨. (حسن) محمد خليفة، مدخل نقدي إلى أسفار العهد القديم، دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٩٩٦م.
٩. (خطابي) محمد، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩١م.
١٠. (دافرس) فرنسيس، وجماعة من اللاهوتيين، تفسير الكتاب المقدس، دار منشورات النفير، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٨٦م
١١. (دي بوجراند) روبرت، النص والخطاب والإجراء، ترجمة : تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط ١، ١٩٩٨م.
١٢. (سامبسون) جيفري، المدارس اللغوية التطور والصراع، ترجمة: أحمد نعيم الكراعين، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٣م.
١٣. (سلام) شعبان محمد عبد الله، التأثيرات العربية في البلاغة العبرية، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٢م.
١٤. (شاهين) عبد الصبور، العربية لغة العلوم والتقنية، دار الاعتصام، القاهرة، ط٣، ١٩٨٩م.
١٥. (ضيف) شوقي، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، ط ١١، ٢٠٠٠م
١٦. (ظاظا)حسن، الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه، دار القلم ، دمشق، دار العلوم ببيروت، ط٢، ١٩٨٧

١٧. (عبد الرءوف)عوني قواعد اللغة العبرية، الهيئة العامة للكتب والأجهزة العلمية مطبعة جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٧١م.

١٨. (عبد العزيز) محمد حسن، سوسير رائد علم اللغة الحديث، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٠م.

١٩. (يقطين) سعيد، انفتاح النص الروائي النص والسياق، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،المغرب، ط٢، ٢٠٠١م.

- الرسائل العلمية والدوريات:

١. (البليمي) محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله، التضمين وأثره في تفسير القرآن الكريم دراسة تطبيقية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، قسم التفسير وعلوم القرآن، ١٤٢٨هـ.

٢. (درويش) فاطمة عادل محمد عبده: المعنى التداولي في الحوار القرآني دراسة لغوية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة، ٢٠١٨م .

٣. (علي)هاجرمصطفى إبراهيم، التناص في سفر الأجاداه لحاييم نحمان بيالك ويهوشواع حنا رفنتسكي دراسة في علم لغة النص، رسالة دكتوراه، جامعة المنصورة، كلية الآداب ، قسم اللغات الشرقية، ٢٠١٦م.

٤. (مصطفى) حمادي، تداوليات الإشاريات في الخطاب القرآني، مجلة الأثر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة ورقلة، الجزائر،عدد ٢٦، سبتمبر ٢٠١٦م.

ثالثاً: الإنجليزية

1. (Brown) Keith and James Edward Miller (2013),The Cambridge Dictionary of Linguistics, Cambridge University Press.
2. Sanders and Pander Maat, (2006), Cohesion and Coherence: Linguistic Approaches, in Encyclopedia of Language and Linguistics .
3. (Crystal)David , (2008), A Dictionary of Linguistics and Phonetics, Blackwell.
4. Yule(George),Pragmatic, Oxford University,Press,1996, .

The deliberation between evoking and brevity in the Holy Quran and the Old Testament
The Ten Commandments as a Model

Dr. Umniah Al-Saeed Mohammed

Research Summary :

Linguistic text in general is based on basic building blocks, and on moral ties and formal and semantic techniques Rhetorical Conceits may be explicit or deduced from the text, subject to measurement or the special taste of the recipient greatly.

Hence, they are influenced by circumstances and circumstances outside the framework of the formal and structural text that are centered around the deliberative Pragmatics, may direct the text in many directions, may agree or contradict the purpose for which the text was created.